نحن ندعو ضد الزواج
من حيث لا نعرف

إننا نقع فى غلطة كبيرة ونقوم بدعاية ضد الزواج من غير أن نعرف أو من غير أن نقصد . ذلك أن كثيرا من مجالسنا ومجتمعاتنا قد تدور حول رواية أخبار الأزواج الخائبين فى زواجهم والزوجات الخائبات فى زواجهن. نكثر من رواية النطرف والفكاهات عن الزواج ومتاعبه بل نحن نكتبها فى بعض الأحيان فى الكتب والمجلات . ومن يروونها أو يكتبونها لا يقصدون بها غير التسلية واللهو . وكذلك من يسمعونها أو يقرأونها قد لا يجدون فيها شيئا آخر غير هذه التسلية وهذا اللهو. ولكنها مع ذلك تترك فى نفوس قرائها أثرا، توحى اليهم أن الزواج مرادف للخيبة والشقاء. يتسرب هذا الفهم، أو هذا الوهم ، الى أعماق العقل الباطن . وهو يتسرب على غير وعى منهم فيصرفهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون عن السعى فى الزواج أو التفكير فيه.

ولا يعقل أن يكون كل زواج شقيا ، ولا يعقل أن يكون كل الأزواج والزوجات أشقياء . فالواقع أن هناك كثيرا من البيوت السعيدة الهنية التى تشعر بنعمة الزواج والتى يجمعها هذا الرباط المقدس تحت سماء كلها ورحمة وتعاطف .

ولا يعقل أن يكون كل البنات غير صالحات للزواج . فإن فى البيوت المصرية كثيرات من الفتيات الطاهرات الشريفات التائقات إلى حياة الزواج ، العارفات بما لها من حرمة وقداسة. ولكنك مع ذلك قلما تسمع من أحد غير تلك النغمة الشائعة التى تؤكد لك أن الزمن " خلاص فسد " وأن البنات " خلاص بقوا على كيفهم " و يؤكد لك محدثك أنك عبثا تبحث عن ضالتك فى زوجة طيبة مطيعة لا تكلفك من أمرك عسرا .

ولا يعقل أن يكون كل الشبان يسيرون فى الحياة على هواهم ، وينصرفون إلى ملاذهم وشهواتهم ، ومع ذلك فإنك تسمع هذا الحكم عليهم من أفواه بعض فتيات والأمهات والعائلات ، وأحيانا من أفواه الرجال أنفسهم .

ونحن فى هذا التعميم فى الحكم ، سواء بالنسبة للزواج ذاته ، أو للشبان ، أو للفتيات نسىء من حيث نعرف ، أولا نعرف ، إلى حياة العائلة : العائلة التى تألفت فعلا ، والعائلة التى توشك أن تتألف ، ثم نحن بذلك ننشر دعاية سيئة قد تصرف بعض الشبان عن الزواج أو قد توحى إليهم أن الزواج شر ، من الخير الابتعاد عنه .

وليس معنى هذا ألا ننتقد الوسط الذى نعيش فيه . ليس معناه أن نقول بأن الفتيات ملائكة أطهار ، وأن الشبان تقاة صالحون ، وأن الزواج نعيم ليس بعده نعيم ، وأن

المتزوجين هم أسعد خلق الله . . . لسنا نقصد إلى شيء من هذا . فان المبالغة إلى أى ناحية اتجهت ضارة . ولكن الذى نقصد إليه هو أن نصطنع الدقة فى حكمنا على الأشياء . وأن تكون نظراتنا إلى المسائل والحوادث وإلى الظواهر الاجتماعية خاصة ، أعمق وأشمل . فانك إذا قابلت فى حياتك فتاة ماجنة مستهترة أو حتى إذا قابلت عشرات الفتيات الماجنات المستهترات فإن هذا لا يعنى أن كل الفتيات من هذا النوع ، فيكون تسرعا منك إذا جلست بين إخوانك ومعارفك وأكدت ، فى أسف و إشفاق ، أن الدنيا (خلاص خسرت) وأنه لا أمل فى إصلاح الأخلاق ، ثم تروح تروى لهم القصص التى تعرف ، تأكيدا لدعواك .

وكذلك إذا كنت قد صادفت فى حياتك ، وعرفت من أحد أصدقائك عائلة شقية بالزواج أو أكثر من عائلة ، فانك تسرف فى حكمك على الزواج بأنه شقاء وعلى المتزوجين بأنهم أشقياء . تكون مسرفا ومتجنيا لأنك تنسى أو تتناسى مئات الألوف من العائلات السعيدة التى تعيش هنا وهناك . قد لا تعرفها أو لا تعرف بعضها ولكنها موجودة ، ما فى ذلك شك .

وكذلك تسرف الفتاة أو السيدة التى يصح لها أن تعرف شابا فاسد الخلق حينما تحكم على الرجال بأنهم لا يقدرون مسئولياتهم وأنهم هم سبب شقاء الزوجات . تسرف فى هذا الحكم وتخطئ خطأ شديدا . فليس كل الرجال على غرار الرجل أو الشاب الذى عرفت . وهناك مئات الألوف من الرجال الذين يعدون مثلا عليا للأزواج الفاهمين لمسئولياتهم المعنيين بشئون أولادهم وزوجاتهم ، الذين يشيعون فى بيوتهم روح المسرة والغبطة والفرح و يؤدون واجباتهم نحو أنفسهم ونحو عائلاتهم ونحو وطنهم على خير ما يؤديه الرجال الكاملون .

فمن الإنصاف أن ننسى هؤلاء وهؤلاء ، لأن الصدف قد وضعت فى طريقنا مثلا سيئا لرجل مستهتر أو لفتاة مستهترة .

كلا ..... لنرو ما نعرف من شأن هؤلاء المستهترين ، ولكن على أنهم صنف من الناس موجود فى الحياة ، موجود فيها منذ بدأت الخليقة . ولكن لنحاذر أن نروى نبأ هؤلاء المستهترين والمستهترات على أنهم كل من فى الحياة وأن لا أحد غيرهم فيها . فان مثل هذا التعميم فيه خطر شديد على الفهم العام وفيه ايحاء بأن الخير لم يعد يوجد ، وأن لا أمل فى زوجة طيبة ، ولا فى زوج طيب ، ولا فى زواج سعيد .

وقد تكون ظروف الحياة التى نجتازها ، وموجة التقليد التى اجتاحت كياننا القومى ، وروح الاستهتار التى شاعت بعض الشيء بسبب القلق العام الذى يساور النفوس من جراء اضطراب الشئون الاقتصادية والدولية العامة . قد تكون هذه العوامل ساعدت على مضاعفة عدد العابثين بالأخلاق ، والعابثات بها ، ولكن هذه الظاهرة ليس من شأنها أن

ترجع عقيدتنا فى الخير العام وأن تضعف أملنا فى المستمسكين بالفضائل القومية والفضائل الخلقية . بل إنها جديرة أن تزيدنا استمساكا بالفضائل ودفاعا عنها وإشادة بها .

ومهما يكن من أمر فان الإلحاح فى التنذر بالزواج والزوجات والأزواج ، والإلحاح فى وصف العصر بالفساد ؟ والتأكيد بأن الزوجة الصالحة لم يعد لها وجود ، والرجل الصالح لم يعد له وجود فيه مبالغة ظالمة أولا وضارة ثانيا . أما ظلمها فواضح ، إذ أن الدنيا ، ومصر بالذات ، مملوءة بالزوجات والأزواج الصالحين ، مملوءة بالفتيات والشبان الصالحين . نشأت فيها عائلات سعيدة غاية السعادة ، وستنشأ فيها عائلات سعيدة غاية السعادة .

أما ضررها فواضح أيضا . لأن الإلحاح والتكرار والتأكيد جدير أن يخلق فى نفوس السامعين والقارئين كراهة للزواج وانصرافا عنه . وليس هذا فى مصلحة المجتمع المصرى فى شىء . بل إن مصلحته الواضحة ، فى أن نخلق احساسا آخر مناقضا لهذا الاحساس ، احساسا بالتفاؤل واطمئنانا الى الحياة وثقة بأن السعادة يمكن أن توجد فى الزواج . بل إن السعادة إنما توجد فى الزواج وحده ، وأن الزواج الناجح ممكن ، وان بين الفتيات المصريات كثيرات من الطاهرات الشريفات المثقفات اللاتى يمكن أن ينشئن بيوتا سعيدة ، وأن بين الشبان المصريين كثيرين ممن يفهمون مسئولية الزواج ، ويتحلون بخلق الرجال وشهامتهم .

" وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "

قرآن كريم